شَجَرَةُ الأَنبِيَاءِ

- ٢٠ -

مُحَمَّدٌ ﷺ

نَبِيُّ الرَّحمَةِ ورَسولُ السَّلامِ

منصور الرفاعى عبيد   د/ إسماعيل عبد الفتاح   رزق السيد هيبة

رسم صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٢٩,٥	منصور الرفاعى عبيد.
م ن م ح	محمد ﷺ: نبى الرحمة ورسول السلام/ منصور الرفاعى عبيد، إسماعيل عبد الفتاح، رزق السيد هيبة؛ رسم صفوت قاسم.- القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨.
	٤٠ ص : إيض؛ ٢٤ سم. - ([سلسلة] شجرة الأنبياء؛٢٠)
	تدمك : ×ـ ١١٥٧ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.
	١ ـ قصص الأنبياء. أ ـ إسماعيل عبد الفتاح، مؤلف مشارك. ب- رزق السيد هيبة، مؤلف مشارك. جـ- صفوت قاسم، رسام. د- العنوان. هـ- السلسلة.

صف كمبيوتر عادل أحمد العزب

رقم الإيداع	٩٨ / ٩٦٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

عشْنَا معَ سلسلة شَجرَة الأَنبـياء وَقْتًا طيبًا مباركًا، وَفِى خـتَامِهَا نَلتَقى مَعَ خَاتَمِ الأَنبياء والمرْسلينَ، الَّذى أَرسَلَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ برسالةِ التَوَّحِيد، كَمَا أرسَلَ الأَنبيَاءَ مِنْ قَبله، لِتكُونَ سيرَتُهُ ﷺ هِىَ مسكُ الختَام.

نَلتـقى مَعَ رَسول الله ﷺ، سَيدنَا مُـحمَّـد، الَّذى أَرسَلَهُ اللهُ رحمَـةً للعَـالمينَ، نَعمْ، رحـمَـة للعَـالمينَ فِى مَـشَارِق الأَرْضِ ومـغَاربهَـا، رحْمَـةً للعالمينَ، مِنْ يوم بَعْثه صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَليه، إلَى يومِ الدِّين. بَعثَهُ اللهُ برسَالة خَاتمة بَاقية، هِىَ رِسالَةُ الإِسْلاَم.

وَالإِسْلامُ الَّذى بَعثَ اللهُ به مُـحمَّدًا ﷺ، هَوُ رسَـالةُ الحَقِّ، والإِيمَانِ والسَّلام. رسَالةُ العلمِ والنُّور للبشَرِيَّة جَمعاءَ. وهَوُ رسَالةُ التَّوحيد والتَّصديق بالله الواحِـد الأَحدِ، الفـرْدِ الصَّمدِ، الَّـذى لَم يَلدْ ولَمْ يُولدْ، ولَم يَكنْ لَهُ كُفُوًا أَحدٌ.

والرِّسالَةُ الخاتمـةُ البَاقيةُ الخالدةُ إِلَى يومِ العـرْضِ والحسَاب، لاَ بدَّ أَنْ تكُونَ رسالَةَ أَخـلاَقٍ فَاضلة، ورسَـالةَ مبادئَ نبـيلة، وقيمَ إنسـانِيَّةٍ سَامـية، ورسالةَ إيمانٍ صـافٍ، هِىَ رسالَةُ العمَلِ والمعَاملاَتِ مِنْ أَجْل سُـمُوِّ الإِنسانِ ورفَاهيته.

وَإِذَا كُنَّا سنتَعرَّضُ للسِّيرة النَّبويَّة المبَـاركَة بالتَّفْصيلِ فِى سلْسلة قادمَة إنْ شَاءَ اللهُ، مِنَ القَـصصِ الهَادف، فإنَهُ لاَ بدَّ أَنْ نعيشَ لحظَات، مَعَ نـفحَات الإِيمَانِ والإِسْلامِ والرحْمةِ والإِنسَانيَّةِ مَعَ سَيدِنَا مُحمَّدٍ ﷺ، فِى مُجملِ قصةَ حَياته .


يوم مولد الرسول ﷺ انطفأت النار في
معابد الفرس، وتهدمت أعمدة من
إيوان كسرى وعمَّ النور الأرضَ فكان
ذلك بشرى بالنبى الذى سيخرج
الناس من الظلمات إلى النور

وِلادَتُهُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ وطُفولَتُهُ ونَشأتُهُ

هُوَ مُحمَّدُ بنُ عبد الله بن عبدِ المطَّلبِ الَّذى يتَصِلُ نسبُهُ إلَى سَيدنَا إسمَاعيلَ بنِ إبَراهيمَ عَليهمَا السَّلاَمُ.

وَهُوَ منْ قَبيلَةِ قُريشٍ الَّتى كَانتْ تَعيشُ فِى مكَّةَ، وتَرْعَى بيتَ اللهِ الحرَامَ، وتقُومُ علَى خدْمته.

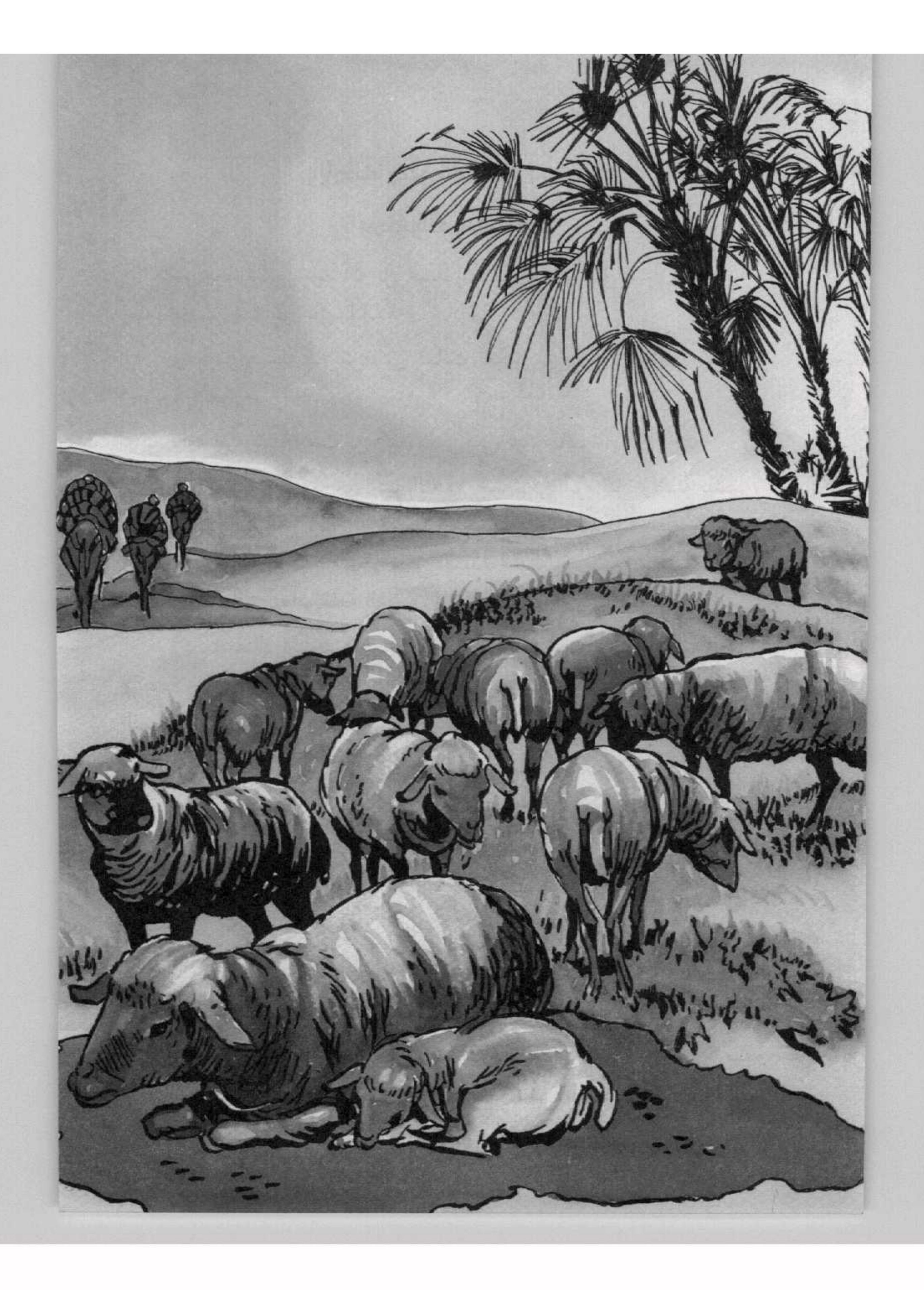
وأُمهُ آمنَةُ بنتُ وَهبِ بنِ زهْرةَ، منْ بَنِى عَبد مَناف.

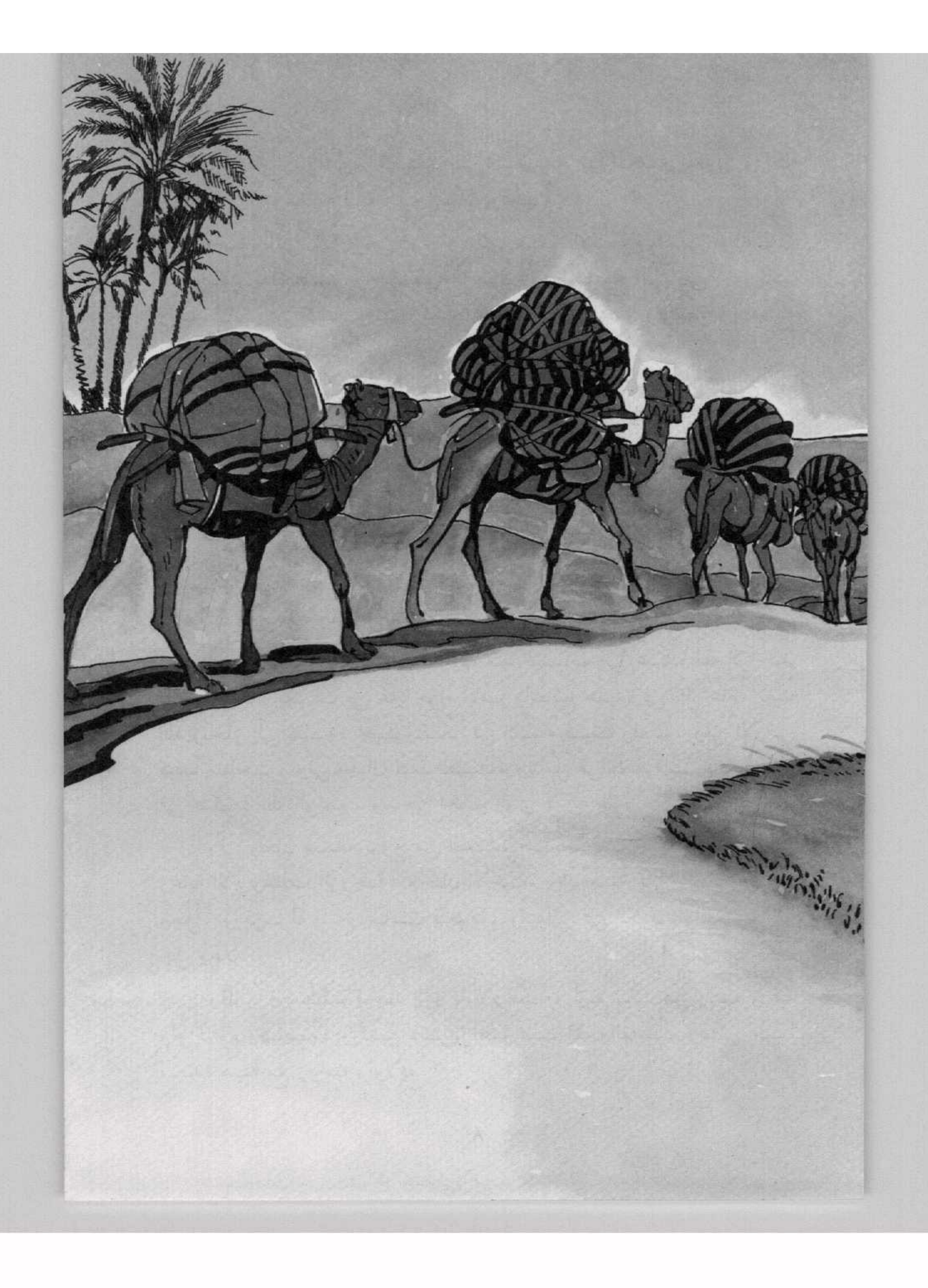
وُلد سَيدُنا محمَّدٌ ﷺ يتيمَ الأَب، فَقَدْ تُوفِّيَ أَبوهُ قَبلَ ولادَته بأشْهرٍ، فِى عَامِ الَفيلِ عندَما قَدمَ أَبرهَةُ لهدْمِ الكعْبة، وكَفلَهُ جدُّهُ عبدُ المطَّلبِ، وقامَتْ بحضَانَته ورضَاعته وهوَ طفلٌ السَّيدةُ حَليمَةُ السَّعدية، منْ بنيِ سَعد، فَنشأَ فِى البَادية، يتعلَّمُ اللُّغةَ العربيَّةَ، ويسْتنشقُ الهَواءَ النقيَّ الصَّالحَ.

وكَانتْ هُناكَ إشَاراتٌ فى الكُتبِ السَّابقَة تُبشِّرُ بقرْبِ مَولده عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وَفِي لَيلة مَولده صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ انْطفأَت النَّارُ فى مَعابد الفرْسِ، وتهَدَّمتْ أَعمدَةُ إيوان كسْرَى، وَعَمَّ النُّورُ الأَرْضَ، فكَانَ ذلكَ بُشرَى بالنبيِّ الذِى سَيخرجُ الناسَ منَ الظُّلمات إلَى النُّور.

ولَما كَبرَ، وفُطمَ عَنِ الرَّضَاع، عَادَ إلَى أُمه وجَدِّه، ونَما بينَهمَا وَشَبَّ فِى رعَايتهمَا، حتَّى مَاتتْ والدتُهُ وَهوَ فى السَّادسة من عُمره، فعَاشَ يتيم الأَبِ والأُمِّ، وسرْعَانَ مَا مَاتَ جَدُّهُ عبدُ المطلبِ وهُوَ فِى الثَّامنَةِ منْ عُمرِه، فكفَلَهُ عَمُّه أبوُ طَالب.

نَشأَ سَيدُنَا مُحمَّدٌ ﷺ نَشأَةً طَيبةً، فرَعاهُ اللهُ وحمَاهُ، وعصَمَهُ منْ عبادَة قَومه، الَّذين كَانُوا يَعبدُونَ الأَوثَانَ والأَصْنامَ، وخُصُوصًا الصَّنَمَ «هُبَلَ» الذى كَانَ يَعبدُهُ أَكثرُ أهْلِ مكَّةَ، ورَغمَ أَنَّ الكَعبةَ المشَرَّفَةَ كَانتْ تمتَلئُ بهذه الأَصنامِ، إلاَّ أنَّ النَّبىَّ محمَّدًا ﷺ لَمْ يَسجُدْ لصنمَ قطُّ، ولَمْ يَشربِ الخَمرَ،





أو يَأت أىَّ نوعٍ مِنْ تلكَ الخطيئَات الَّتِى كَـانَ يَعُجُّ بِهَا المجتمَعُ المكّىُّ. وذَلِكَ حفْظٌ منَ اللهِ وعِصْمَةٌ لنبيِّه عَلَيْه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

وعَمِلَ النَّبىُّ ﷺ برعَى الأغنَام، كَمَا عَـمِلَ الأنبياءُ ذَلِكَ مِنْ قَبلُ، لأنَّ هذَا العَملَ يُعلِّمُ الصَّبرَ والحِكمَةَ، فَالإنْسانُ الَّذِى يَستطِيعُ أَنْ يرعَى الحيوانَاتِ ويسُوسَهَا، وَهِىَ كَائنَاتٌ صَمَّاءُ بكمَـاءُ لاَ تحسِنُ التفَاهُمَ، ولاَ تعرفُهُ يَستطِيعُ أنْ يرعَى مَصالِحَ النَّاسِ جَميعًا.

ثُمَّ عَمِلَ ﷺ بالتِّـجارَة، فكَانَ تَاجِـرًا أمينًا، رَافقَ عمَّـهُ أبَا طالب فِى رِحلَةٍ تِجارِيَّةٍ إِلَى الشَّـام، ثُمَّ عملَ بالتجَّـارة فِى أموال السَّيدة خَـديجَةَ بنت خُويلد رَضِىَ اللهُ عَنهَا، وذَهَبَ إِلَى الشَّامِ مرَّتَيْنِ بالتِّجارَة قَبلَ الزَّواج.

نَشأ مـحمَّدٌ ﷺ بينَ قومـه نَشأةً هَادئةً طَيبةً، واتَّصفَ بالأمـانة، حَتَّى أصبحَ لَقَـبُ الأمينِ عَلمًا عَـليه، فكَانُوا ينادونَهُ «مـحمَّدُ الـصَّادقُ الأَمينُ». وكَانُوا يُودعُونَ عندَهُ ودَائعَهمْ وأمَانَاتِهمْ وهُمْ مطمئنُّونَ إِلَى أنهَا فِى حِرزٍ أمينٍ مَا دامتْ فِى ذمَّة مُحمَّد بن عَبد الله. الأمين.

أَمَّا عَـنْ عـبَادته، فَـقدْ هَدَاهُ اللهُ مُنذُ الشَّـباب إِلَى عـبَادة الله الوَاحـد الأحد، فكَانَ يعتكفُ فِى غَار حراء أيَّامًـا وأسَابيعَ عَديدةً فى كُلِّ عَامٍ، يَعبدُ اللهَ ويَخلُو إِلَى نفسـه، حيثُ يتفَـكَّرُ فِى السَّمَاء كَـيفَ رُفعَتْ، وَفِى الأرضِ كَيفَ سُطحَتْ، وفِى الجبَال كَيفَ نُصبَتْ، ويتأمَّلُ فِى مَخلوقَات الله، ويفكِّرُ فِى مَلكُوت اللهِ الوَاسعِ، وينَاجِى الخَالقَ الَّذِى لاَ إله غَيرُه.

وفِى رَيعَان شَـبابه تَزوَّجَ منَ السَّـيدَة خَـديجَةَ بنت خُويلد الَّـتى أعطتْهُ رِعايةَ الأمِّ وعطفَ الزَّوجَـة، وحَنَانَ الأُختِ، وشَجَّعَـتْهُ عَلَى عِبَـادَة الله عَزَّ وَجلَّ، ووفَّرتْ لَهُ المَناخَ المُنَاسبَ للعبَادة، والتَّفكير فِى الكَوْنِ الواسعِ وخَالِقه جلَّ وعَلاَ.

وقَدْ رُزقَ سَيِّـدُنَا محمدٌ ﷺ بأولاَد ستَّـة، أَربع بنَات هُنَّ زينبُ ورُقَيةُ وأمُّ كَلثوم وفَـاطمَةُ، وولَدين ذكـرَينِ هُمَا عَبـدُ الله والقَاسمُ، وعَاشَ حَـياةً سَعيدةً هنيئَةً مَعَ زوجَته وأولاَده.

وهَذاَ منْ رحْمة الله عزَّ وجَلَّ، وحفظه لأَنبيَـائه، فَهُوَ الحَافظُ يحفظُهُمْ بَعيداً عَنِ الوثَنَّية فِى طُفولَتهِمْ، وشبَـابِهِمْ، فَلَمْ يُجار النبىُّ شَباب عَصره فِى اللهْـو والمجُـون والسُّجـود للأَصْنام، «اللاَّت والـعزَّى ومَناة» وغَـيـرهَا منَ الأصْنَامِ، بَلْ حَفَظَهُ اللهُ وجَعَلهُ يخلُو بنفسه ويَتفكَّرُ فِى خلقه، وكونه الواسعِ الرحيبِ؛ ليرَى آيات الله عزَّ وجَلَّ.

بَعثَهُ بالرسَالةِ

أَرسَلَ اللهُ سيدنَا محمَّداً برسَالة الإسْلامِ، وهُوَ فى الأَربعينَ منْ عمره، فبـيَنمَا هُوَ فى غَار حراءَ مُـستغـرقًا فى التفكيـر فى خَلق هَذَا الكَوْن، جَاءَهُ الملَكُ جبريلُ عَليه السَّلامُ، فَاحتَـضنَهُ حتَّى كَادَ أَنْ يكسر ضُلوعَهُ، وقَالَ لَهُ: اقرأْ . . فَأَجَـابُه النَّبىُّ عَليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قَائـلاً: مَا أنَا بقَارئ . . لأنَّ النَّبىَّ عَليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كَانَ أُميًّا لا يقْـرأُ ولاَ يكْتُبُ، فضمَّهُ الملَكُ جبريلُ عَليه السَّلامُ ثَلاثَ مرَّات، وفى كُلِّ مرةٍ يقُولُ لَهُ: اقرأْ . . ويقُولُ النبىُّ ﷺ: مَا أنَا بقَارئ.

فقَالَ الملَكُ جبريلُ عَليه السَّلامُ: ﴿اقْرأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإنسَانَ منْ علَقٍ ۝٢ اقْرأْ وربُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذى علَّمَ بالْقَلَمِ ۝٤ علَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ – ٥].

كَـانَ هذَا هُوَ أولُ الـوَحْى، وكَـانتْ تلكَ الآياتُ هىَ بدَايَـةُ الرِّسَـالَةَ الإسْلاميَّة، وأولُ كلمَات نزلَت فى كتَاب الله عزَّ وجَلَّ، القُرآن الكَريمِ الَّذى أنزلَهُ اللهُ عَلَى مُحمدٍ ﷺ هُدًى وتبيَانًا لكلِّ شَىْءٍ.

ورَجعَ الحَـبِـيبُ المصْطفَى إلَى منَـزله وهُوَ يرتعش ويرْتعـدُ منْ هَول المفاجَـأة، فطوَالَ اعتكافـه فى الغَار، وعَلَى مرِّ السنينَ، لَـمْ يَدخلْ عَليه أىُّ إنسَان ذَلكَ الغارَ، وكَانَ يحملُ طعَامَـهُ وشرابَهُ وكُلَّ زاده طوَالَ فَترة اعتكافه فِى غَارِ حـراءَ، حتَّى لاَ ينقطعَ عَنِ العـبَادة، ولاَ يشْغَلَهُ أمـرٌ منْ أُمُور هَذه

الدُّنيَا عَمَّا هُوَ فيه من نُسك وتَحنُّث. ولذلكَ عَادَ إلَى البَيْت خَائفًا يرجُفُ فؤادُه وترتعدُ أوصَالُه، واستقبلته السَّيدةُ خَديجةُ رضى اللهُ عَنهَا بأجمل المواساة، فَأخذت تخففُ عَنه وتُهدِّئُ من رَوعه، حتَّى نَامَ، ثُمَّ انطلقتْ به إلَى رَجُلٍ صَالحٍ يَعرفُ اللهَ ويَعْبدُه، هُوَ ابنُ عَمِّهَا ورقَةُ بن نوفلٍ، فَحكَتْ لَهُ مَا حَدثَ لزوْجهَا، فَقَالَ لهَا بعْدَ تفْكير.

«إنْ صَدَقَ يا ابنَةَ العَمِّ، فإنَّ مَا أُنزلَ عَليه هُوَ الَّذى أُنزلَ عَلَى مُوسَى، إنهُ النَّاموسُ - أى (الوَحْى) الذى أَنزلَهُ اللهُ عَلَى أَنبيائه ورُسُله».

فَاطمأنَّت السَّيدةُ خَديجةُ، فَقَالَ لهَا ابنُ عَمِّهَا:

«لَئنْ أطَالَ اللهُ عُمْرِى، وعِشْتُ لأرَى رسَالَةَ محَمَّدٍ لأكُونَنَّ منَ المؤمنينَ بِه».

وعَادت السَّيدةُ خَديجَةُ رَضِىَ اللهُ عَنهَا فَرحَةً مُستبشرَةً، من عند ورقة ابنِ نَوفلٍ، وطَمأنت زَوجهَا.. وبعْدَ عدة أيامٍ يأتى تكْليفُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ لسيدنَا محمَّد ﷺ بدعْوة النَّاسِ إلَى الإسْلاَمِ، بقَوْله تعَالَى: ﴿**يا أَيُّها الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وربَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) والرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) ولا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) ولِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾ [المدثر: ١ - ٧].

وكَانَ ذلكَ بداية البعثَة والتَّكليفِ، لإبلاغِ مَا أنزلَهُ اللهُ تعالَى إلَى النَّاسِ أجْمعِينَ.

قريشٌ تناهضُ الدعوة

بَدأ سيدُنَا محمَّدٌ ﷺ الدَّعوةَ إلَى عبَادة الله عَزَّ وجَلَّ، وعدمِ الشِّرك به، فآمنتْ به زوجتُهُ السَّيدةُ خَديجةُ بنتُ خُويلد، وكَانَتْ أول مَنْ آمن منَ النسَاء، وآمَنَ به أبو بكرٍ الصِّديقُ رَضِىَ اللهُ عنْهُ، وكَانَ أوَّلَ مَنْ آمن منَ الرِّجَال، وآمنَ سيدنا علىُّ بنُ أَبِى طَالب، وكَانَ أوَّلَ مَنْ آمن منَ الصِّبيَان، وآمَن بِه زيدُ بنُ حارثَةَ، فكَانَ أول مَنْ آمن منَ العَبيد.

وبدأ النبىُّ يدْعُو إِلَى الإسْلاَم بَينَ جَـمِيع الطَّوائف فى مكَّةَ سَواءٌ منهمُ الأَحرارُ والعبيدُ، الوُجهاءُ أو الضُّـعَفاء، الأَغنياءُ أو الفقَراءُ، فالكُلُّ عِندَ الله سَواءٌ، وأكرَمُهُمْ عِندَ الله أتقاهُمْ.

كَانَ ﷺ يَدعُـو زُوارَ بيتِ الله الحرَامِ، وينْتهِزُ فُـرصَةَ الحجِّ والموَاسِم، مثلَ مواسمِ عُكاظَ وذى المجَازِ وغَيرِهمَـا مِنْ مَوَاسِمِ العرَبِ وأسوَاقِهَا، فكَانَ يَدْعُو النَّاسَ فى هَذه المواسمِ للإيمان بالله، وقَبول دَعوة الإسْلاَم، والتصْديق بأنْ لاَ إله إلاَّ اللهُ وأَنَّ محمَّـدًا رَسولُ الله. فكَانَ يمْشِى بينَ الجُـموعِ هَاتفًا فيهم:

قُولُوا: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ تكْسبوا دينَكُمْ ودُنيَاكُمْ وآخرَتكُمْ.

قُولُوا: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ تَفُوزُوا. . قُولُوا: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ تربَحُوا.

وَبدأ النَّاس يُؤمِـنُونَ بالرِّسَالة وَاحِـدًا بَعدَ وَاحـد، وبَدأ العَـبِـيـدُ والمسْتَضعَـفُونَ يؤمِـنُونَ بالله وبرسَالَة الإسْـلام، وبدأ عَددُ المؤمنينَ برسَـالة مُحمَّدٍ يَزيدُ، وبَدأتِ المواجَهةُ بينَ أهلِ الكفرِ وأَهْلِ الإيمَان.

أولُ جامعةٍ تربويةٍ إسلاميةٍ

دارُ الأرقمِ بنِ الأرقم

عندمَا نزلَ الوحىُ علَى سيِّدنَا محمدٍ ﷺ، وأخبَـرهُ الملَكُ جبريلُ بأنهُ نَبىُّ هَذه الأُمة، وبدأ الوَحْىُ يتنزَّلُ عَلَيـه مِنَ الله عزَّ وجَلَّ، وتضمَّنَ الوَحْىُ قيمًا أخلاَقيةً تَغيِّرُ مَـا يَجرى فى المجْتمع الإنسَانىِّ مِنْ ظُلمٍ وفَوضَى وهَمَجيَّة، ونزلَ القُرآنُ الكريـمُ يَضعُ الضَّوابطَ التى تَحمى الإنـسَانَ مِنْ نفْسـه، وتَحمى الإنسَانَ مِنْ أَخيه الإنسَـان، وفِى نفْسِ الوَقت توجِّهُ الدعْوةُ نظرَ الإنسَان إلَى أنْ يؤسِّسَ لنفسـه أسْرةً، وأنْ يقيمَ دعَائمَـهَا عَلَى المحبَّة والصِّـدق والأَمَانَة، وإنْ كَانَ صاحبَ حِـرفَة يتعَامَلُ مَعَ النَّاسِ عَلَى أنْ يكونَ وفيًّـا بالعَهْد، وإنْ كَانَ تاجرًا لاَ يَغشُّ ولا يُنقِصُ الميزانَ والمكيَالَ، وإنْ كَانَ طالبَ علمٍ يُحصِّلُ

العُلومَ والمعـارفَ، ويبْتكـرُ فى أُسلوب العلمِ الذى يتـعلَّمُهُ، وهكَذَا كَـانتْ مفَاهيمُ النَّاسِ تَتغيرُ تبعًا لما تَأتيهم به الدَّعوةُ من توجيهٍ إلَى الحَياة الرَّشيدَة.

لذلكَ أرادَ النَّبىُّ ﷺ منْ أول الأمْـرِ أَنْ تكُونَ هُنـاكَ مُؤسَّـسةٌ تَربويَّةٌ يَعتمدُ عَليهَا فِى تلقينِ النَّاسِ هَذه المَبَادئ، فَاتَّخَذَ دَارَ الأرقَم بنِ أبِى الأرقَمِ لتكُونَ الملتقَى، فيـهَا يلتقى النَّبىُّ ﷺ بالمؤْمنينَ برسَالتِـه. وكَانَ الرَّسولُ ﷺ يَجْلسُ فِى هَذه الدَّارِ ويَشْـرحُ للرَّواد الأُول منَ المؤْمنيـنَ الصَّادقيـنَ، أنَّ اللهَ حَرَّمَ عليهِمْ أكلَ أمْوال الناسِ بالبَاطِلِ، والسرقَةَ والاغتـصَابَ وتَـرويعَ النَّاسِ وإزعَـاجَـهُمْ، والتطَلُّعَ إليـهِمْ، ونشـرَ الأَحاديث الكَاذبة عَنـهُمْ والشائعـات المغرِضَة ضدَّهُمْ، كَمَا نهاهُمْ عَنْ شُربِ الخَمرِ وحَرَّمَ عَليهمُ الفَحشَاءَ والمنْكَرَ والبَـغْىَ، والاعتـداءَ عَـلَى آبائهمْ وأمـهَاتهِمْ، وعَلَّمـهُمْ مَعَ الإيمَـان بـالله الكثيرَ منَ الأخلاَقِ السَّـامية والمَعاملاَت النَّافعة، والقِـيمِ النَّبيلة التى جَاء بِهَا الإسْلامُ الحنيفُ.

وَهكَذَا كَانتْ دَارُ الأَرقمِ بنِ أَبِى الأَرقَم المخـزوميِّ مَدرسةً يتعَلَّمُ فـيهَا الرُّوادُ الأَوائلُ القـيمَ الأَخـلاقيَّـةَ العَـاليةَ، والمَبادئَ الكريمَـةَ النَّبـيلَةَ، لأنَّ المجتمعَات لا تُبنَى إلا بالعلمِ والأَخلاَق، وهُمَا دعَامتَان لحضَارة المجْتمَعِ فإنْ تأخَّرَ وَاحدٌ منهُـمَا عَنِ الآخَرِ، كانَ ذلكَ سبَـبًا فِى وُجود خَلخلة اجْتمَـاعيَّةٍ يتـأثَّرُ بهَـا النَّاسُ فِى حَـيَـاتِهمْ، ولاَ يُمْكنُ فِى هَذه الحـالَة أن يتـبَـوأَ مكانَ الصَّدَارة.

لذلكَ وضَعَ الإسْلاَمُ قَـاعدةَ عدَمِ التَّـفرقَة بينَ الـنَّاسِ بسبَبِ الجنْسِ أوِ اللون أواللُّغة، فهمْ جَـميعًا إخوةٌ ليسَ لأحَدهِمْ فَـضلٌ عَلَى الآخَرِ بالفُروق العرقيَّة، ولاَ بالملامحِ الشَّـخْصيَّة، ولاَ بالمال والمَنْصب، وإنَّمَا الذى يَجبُ أَنْ يَسُودَ المجْتمعَ أَنْ يحترِمَ كُلٌّ واحد الآخَرَ، فكَانَ مَجلسُ النبىِّ ﷺ يَضُمُّ الحرَّ والعبْـدَ، والقرَشىَّ والحبَشىَّ والرومىَّ والفـارسىَّ. هَذَا أبيضُ، وذَاكَ أَسودُ

وَرغمَ ذَلكَ جلَسُوا معًا، فكَانُوا كَالوردَة الزَّاهية، لَونُهَا مُريحٌ ورائحتُهَا طَيبَةٌ، وَهكَذَا يَجبُ أَنْ يكُونَ المجتَـمعُ الإنسَانىُّ، لَيسَ هُنَاكَ تفرقَةٌ عُنصـريَّةٌ، وإنما هُنَاكَ شَخصيَّاتٌ تتولَّى القِيَادةَ، والكُلُّ يتعَاوَنُ لأنَّ ثَمرةَ التَّعاوُنِ نَجاحُ الدَّعوة الَّتى آمنُوا بهَـا وفَلاحُهَـا . . فكَانتْ دَارُ الأَرقَمِ بنِ أبى الأرقَمِ أولَ مُؤسَّـسة تَربويَّةٍ إسْلَاميةٍ أَعطَتِ الكَثيرَ للدَّعوةِ الإسلاميةِ ولِلأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

المواجهة

عندَمَا شَـعرتْ قُـريشٌ بدَعوة رَسولِ الله ﷺ، وأَحـسَّتْ أنَّ هُنَاكَ مَنْ بدَءوا يُؤمنونَ بهَا، ورأتْ أنَّ كثـيرًا منَ المُسْتضعَفـينَ قَدْ آمنُوا بتلكَ الرسَالة، واتَّبعُـوا مَا جَـاءَ به ذَلكَ الدينُ الجَديدُ، بَدأتْ قـريشٌ تخافُ عَلَى مكانتِـهَا الاجتمَاعـيَّة، فقامَتْ بحملَة إرْهابٍ واسعة ضـدَّ المسلمينَ، كَانتْ تعذِّبُ مَنْ تَعلَمُ عَنهُ أنهُ أَسلَمَ وَجـهَهُ لله ربِّ العَالَمـينَ، ولكنَّ المُشركينَ لَـمْ يَجدُوا منْ هَؤلاء المُسْلمـينَ إلاَّ الإصرَارَ عَلَى المبَدأ، والـتمسُّكَ بالحَقِّ، والاسـتمسَاكَ بالدِّينِ، والإيمَـانَ بالإسْلام وبـرسُولِ الإسْلامِ، فَبـدأتْ قُـريشٌ فِى تَنفِيـذ أُسلوبِ التَّهديدِ والوَعيدِ، والترْغيبِ والترْهيبِ.

ورغْمَ المواجَهةِ الحادَّة لمْ تَسـتطِعْ قُريشٌ أَنْ تصلَ إلَى الرَّسُولِ ﷺ بأىِّ أذًى، فَهوَ فى مَنعَةٍ فى قومِه، فعرَضُوا عَليه الجاهَ والمالَ، عرَضُوا عَلَى النبىِّ أنْ يجْـعلُوهُ ملكًا عَليْـهمْ، وأنْ يجمَـعُوا لَهُ منْ أمـوَالهمْ مَـا يكُونُ به أغْنَى النَّاسِ، ولَكنَّ رَسـولَ الله ﷺ رَفضَ ذَلكَ كُلَّهُ، لأَن هذه الدَّعـوَةَ إنمَـا هِى تكليفٌ لَهُ منْ الله عَـزَّ وجَلَّ برسَالة سَامـية، فـيهَا صَـلَاحُ الدنيا، وسَعادَةُ الأَخرة، فعَرَضُوا عَلَى عَمِّه أَبى طَالَب مُـبَادلتَهُ، بأنْ يُعطُوهُ شَخْصًا آخرَ منْ أبنائهمْ عَلَى أنْ يأخُذُوا النَّبىَّ ﷺ يَقتُلُونَهُ، فَأرسلَ عـمُّهُ إليْه يرجُوهُ أن يترُكَ أمرَ هَذه الدَّعـوة، أوْ فليَقْبلْ منْ قُـريش مَا تدعُو إليـه منْ أنهَا ستعْـبُدُ إلهَ محمَّدٍ عَامًا، ويعبُدُ آلهتَـهَمْ عَامًا، فَرفَضَ النبىُّ ﷺ، وأَصرَّ عَلَى الاستمرَارِ فِى الدَّعوةِ، وقَال تلكَ الكَلمَةَ الَّتى خَلَّدَهَا الزَّمانُ، قَالَ:





وَالله يَاعَمُّ، لَوْ وضَعُـوا الشَّمسَ فى يَمينى والقَمـرَ فى يسَارِى عَلَى أَنْ أترك هَذَا الأمر مَا تَركْتهُ حتَّى يُظهرَهُ اللهُ، أَوْ أَهْلكَ دُونَهُ».

فَأيدَهُ عمهُ فيمَا قَالَ، ونصرَهُ ولَم يَخذُلْهُ.

وبعْدَ ذلكَ اشْتدَّ العَـذابُ بالمسْلمينَ منْ كبارِ رجَالِ قُريشٍ، وأرادَتْ قُريشٌ أَنْ تُفنىَ المسلمينَ كُلَّهم، فكتَبُوا عَهْدًا بمحَاصرَةِ المسْلمينَ وجَمعهمْ فى شعْب بَنى المطَّلب، حتَّى يَمُوتُوا جُوعًا، وكـَتبُوا عهدًا بذلكَ، ألاَّ يبِعُوا لهُمْ ولَا يَشْتَرُوا منهُمْ، وعلَّقوا ذَلكَ العهْدَ دَاخلَ الكعـبةِ. وَاشْتدَّ الحالُ بالمسْلمين نتيجَةَ الحصَارِ الَّذى استمرَّ عَـدَّةَ أشْهرٍ حتَّى أعطَى اللهُ قريشًا آيَةً كُبرَى كَانتْ سَببًا فِى فكِّ ذَلكَ الحصَارِ.

نَعمْ، إنَّ سيـدَنَا مُحمَّـدًا ﷺ، وَمعَهُ المؤمنونَ به كَـانُوا فى شعْب بَنى المطَّلب وهُوَ واحدٌ منْ شـعَاب مكةَ كَـانُوا مُحاصَـرينَ فيه لاَ يخـرُجونَ ولاَ يتعَاملُونَ معَ أحَد، إلاَّ أنَّ اللهَ أرسَلَ بَعضَ الحـشرَات القَارضَة، لتلتَهمَ ذَلكَ العَهْـدَ، ولمْ تترُكْ سـوَى كَلمة «باسْـمكَ اللَّهمَّ»، وأخـبرَ اللهُ نبيَّـهُ بذلكَ، وأخبرَ النَّبىُّ عـمَّهُ أبَا طَالب، فَذَهَبَ أبُو طَالب إلَى سَادَة قُـريشٍ، وأخبرَهُمُ الخبرَ، فـفتَحُوا الكَعبَةَ، ونظَرُوا فى عَـهدهمُ الَّذى كَتبُوهُ فَلمْ يَجـدُوا فيه إلاَّ كلمَةَ «باسمكَ اللَّهمَّ». وصدقَ اللهُ ورَسُولُهُ، ففكُّوا ذَلكَ الحصار الأليمَ عَنِ الرسُولِ ﷺ، وعَنِ المؤمنينَ مَعَهُ، ولكنَّهم استَمرُّوا فِى السُّخريَة منْهُ وتعْذيبِ أصْحَابه.

ولكنْ، لماذَا كَانَتْ هذه المواجَهَةُ العَنيفَةُ منْ قُريشٍ للإسْلاَمِ والمسْلمينَ؟

لأنَّ أسُسَ الدَّعوة الإسْـلاميَّة الَّتى دَعَـا بهَا سيـدُنَا مُحمَّـدٌ ﷺ كَانتْ تزَلْزلُ كَيانَهمْ، وتهدِّدُ مجدَهم، إذ كَانَتْ تقومُ:

عَلَى عبادَة الله وحدَهُ بحيْثُ لاَ يُشرَكُ معهُ شَىْءٌ.

وَعلَى أَنَّ الناسَ جَمِيعًا سَواسِيَةٌ، فَلاَ فضلَ لأَحدٍ عَلَى أَحدٍ إلاَّ بالعملِ الصَّالِحِ.

أَنْ يعَملَ المؤْمنُ العَملَ الشَّريفَ الَّذِى يجْعلُه يعيشُ فِى مَوطِنِه حرًّا، يتَمتَّعُ بعزَّةِ الإسْلاَمِ، وكَرامةِ المسْلِمِ.

والقيمُ الأَخْلاقَيَّةُ العَاليةُ كَالصِّدقِ والأَمانةِ والرَّحمَةِ والإحسَانِ وَالمساوَاةِ والمرُوءَةِ والشَّهامَةِ والكرَمِ، هَذه القيَمُ يتَمسَّكُ بِهَا المسْلمُ فِى سُلوكِه، ويتعَايشُ بِهَا فِى المجْتَمعِ ومَعَ النَّاسِ.

هَذه الأُسسُ تُهدمُ مَا لقَريشٍ مِنْ ميزَةٍ وفَضلٍ عَلَى غيرِهَا مِنَ القَبائلِ، وتزلزلُ مَا تَعيشُه قُريشٌ مِنَ اسْتعلاَءٍ، لذلكَ حَاربتِ الإسْلامَ، وعَذَبتِ المسْلِمينَ.

الهجْرَةُ إلى الحَبشَةِ

الهجْرَةُ هِىَ الانتقَالُ مِنْ بَلدٍ إلَى بلدٍ، أَوْ مِنْ قُطرٍ إلَى آخرَ، وَهِىَ معرُوفَةٌ مِنْ قَديمِ الزَّمَنِ، لأنَّ الأَنبياءَ أَصحَابَ العقَائِدِ، وحَملَةَ الرِّسالاَتِ، كَانُوا إذَا اشْتدَّ بهِمُ الأَذَى يُهَاجِرُونَ مِنْ مكانٍ إلَى مكَانٍ آخرَ.

وسَيدُنَا مُحمَّدٌ ﷺ هُوَ خاتَمُ الأَنبياءِ والمرْسلينَ، ولَقدْ عُذِّبَ الَّذين آمنُوا برسَالته عذَابًا شَديدًا، ولمَّا اشتَدَّ بهِمُ الأَذَى مِنْ كُفَّارِ قُريشٍ نَصحَهُمُ النَّبِىُّ ﷺ أَنْ يُهَاجرُوا مِنْ مكَّةَ إلَى الحبَشَةِ، وكَانَ ذلكَ قبلَ الهجْرةِ الَّتِى قَادهَا النَّبِىُّ بنفسِه إلَى يثربَ (المدينَة المنوَرة).

وَقدْ خرجَ المسْلمُونَ الأُولُ إلَى الحبشَةِ، منهُمْ مَنْ كَانت مَعَهُ زَوجَتُهُ، ومنْهمْ مَنْ كَانَ وَحيدًا ليسَ معَه زوجَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، وكَانَ مَنهُمْ جَعفرُ بنُ أَبِى طَالبٍ وعُثمَانُ بنُ عَفَّانَ، فَأَمَّروا جعفرَ بنَ أَبِى طَالبٍ عَلَيهِمْ، ولكنَّ قُرَيشًا أَرسلَتْ وَفْدًا منَ المشركينَ إلَى النَّجاشِىِّ ملكِ الحبَشَةِ، وَقدْ حمَلُوا مَعهُمُ الهَدايَا إلَى قسَاوسةِ النجاشِىِّ ووزرَائِهِ، لِكَى ينصحُوا النَّجاشِىَّ بأنْ يُعيدَ

هُؤلاء النَّاسَ إِلَى ذَويهِمْ فِى مَكَّةَ، وَاحتَالَ وَفدُ المشْرِكِينَ حَتَّى دَخلُوا عَلَى النَّجاشِيِّ، وبدءُوا يتكلَّمُونَ، فقالَ قَائِلٌ منهُمْ:

إنَّ إخوَانَنا الذينَ جاءُوا إِلَى بلادكُمْ يزعُمونَ أَنَّ لَهمْ دينًا لَيسَ هُوَ دينَنا وَلاَ دينكُمْ، وأنهُمْ يَغمزُونَ فِى السَّيدَةِ مَريمَ، (وكَانَ النَّجاشِيُّ وقَومُهُ يَدِينُونَ بالمسيحيَّة).

فنظَرَ النَّجاشِيُّ إِلَى زَعيمِ المسْلمِينَ، جعْفرِ بنِ أَبِى طَالبٍ وقَالَ لَهُ:

مَاذَا تقُولُ فِي ذَلِك؟

فَأَجَابهُ جعفرٌ قَائِلاً:

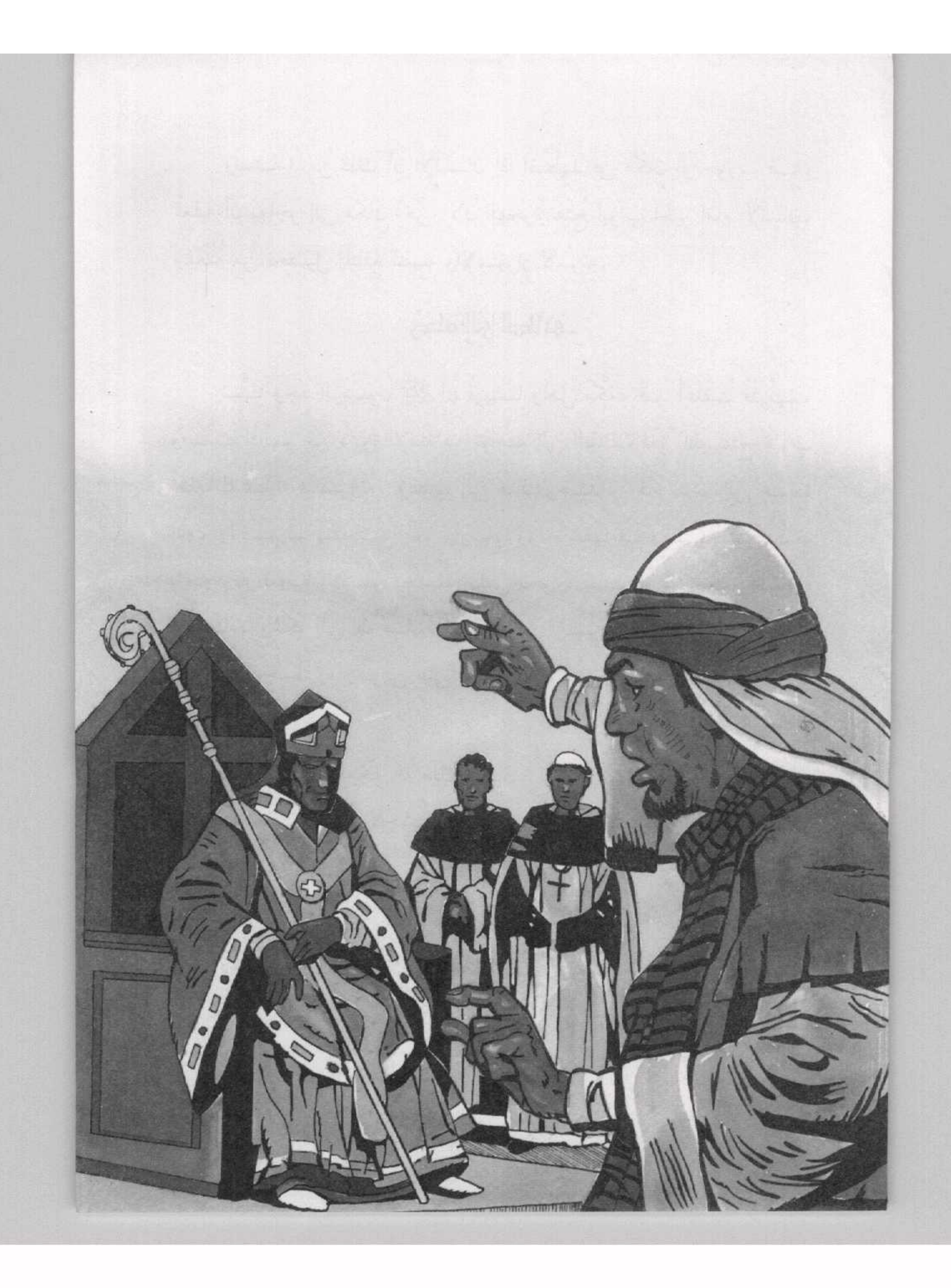
نَحنُ نُؤمِنُ برسَالةِ الإِسْلاَمِ: أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله.

ولَقَدْ تركْنَا عبادَةَ الأَصنَامِ والحجَارةِ الَّتِى يَعبدُهَا قومُنَا.

ثُمَّ قرَأ جعفرُ عَلَى مسَامعِ الجميعِ سُورةَ مريمَ، فَقَالَ النَّجاشِيُّ، وَقَدْ تأثَّرَ بمَا سَمعَ منْ هَذَا الكَلامِ العَظِيمِ، ومَا قِيلَ فِى حَقِّ السَّيدَةِ الطاهِرَةِ مريم ابنة عمرَانَ، قَالَ:

إنَّ هَذَا والذِى جَاءَ بِهِ عِيسَى يَخرُجُ مِنْ مشكَاةٍ واحدَةٍ.

وردَّ النَّجاشِيُّ الهدَايَا عَلَى المشْركِينَ، وعَادُوا خَائبِينَ لَمْ ينالُوا منَ المسْلمينَ شيْئًا، وعَاشَ المسْلمُونَ فِى الحبشَةِ سُعدَاءَ، لأنهُمْ يَعيشُونَ فِى حُرِّيَّة ولَا يعذَّبُونَ، وبلَغ إلَى مسامعِ المهَاجرينَ أَنَّ قُريشًا هَادنت النَّبيَّ ﷺ وأصْحابَهُ، وَكفَّتْ الأَذَى عَنهُمْ، فعَادَ بعْضُهُمْ إِلَى مكَّةَ، فوَجدُوا أَنَّ العذاب قَد اشتَدَّ أكثَرَ مِمَّا كَانَ، فعَادُوا إِلَى الحبشَةِ مرةً ثانيةً، وتُسمَّى هَذه الهجرَةُ «الهجرةَ الثانيةَ»، وقَدْ مكَثَ هؤلاء المهاجِرُونَ فِى الحبشَةِ حَتَّى هَاجَرَ النبيُّ ﷺ وصَحابتُه إِلَى المدينَةِ المنورَة، فلَحقُوا بهِمْ هُنَاك.



ونَستـفيدُ منْ ذلكَ أَنَّ الإنسَـانَ إِذَا اضطُهِدَ فِى مكَانٍ أَوْ حُورِبَ فـيهِ، فَعليهِ أَنْ يهَاجِرَ إِلَى مكانٍ آخَرَ، لأنَّ الهجرَةَ تَفتحُ أبوَابَ الخيرِ أمَامَ الإنسَانِ، وتمكِّنُهُ مِنْ تَحصيلِ المَنافعِ لنفسهِ وَالاستقرارِ لأسْرتِه.

رحلة إلى الطائف

لـمَّـا وجَدَ الرَّسُـولُ ﷺ أَنَّ قُريشًـا وأَهلَ مكَّةَ، قَـدْ أُغلقَتْ قُلُوبُهم، وصُمَّتْ آذَانُهم عَنْ دَعوةِ الإسْلامِ، توجَّـهَ إِلَى الطَّائِف لعَلَّ اللهَ يفتحُ قُلوبَ أَهلِهَا لدعْـوتهِ فينصُرُونَهُ، وذَهبَ إِلَى هُناكَ وَحِـيدًا، وَقامَ يَدعُو إِلَى عَـبادَةِ اللهِ، وَلكنَّهُمْ لَمْ يَستجيـبُوا لَهُ، وَأرسَلُوا ورَاءَهُ سُفهَاءَهُمْ وصبْـيَانَهُمْ يقذفُونَهُ بالحجَارةِ، فَلجَـأ إِلَى سُورِ حَديقةٍ جلَس بجَوارِهِ يَستـريحُ مِنْ بعضِ مَا يلقَاهُ مِنْ عنَاءٍ، وشكَا إِلَى اللهِ مَـا يُلاقِيـهِ، قَالَ: «اللهُمَّ إِنِّى أشكُو إليْكَ ضَـعْفَ قوتِى وقِلةَ حِـيلَتِى، وهَوانِى عَلَى النَّاسِ، فَإِنْ لم يكنْ بكَ غَـضَبٌ علَىَّ فَلا أبَالِى».

فأرسَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ لَهُ ملَكَ الجبَالِ، ليأتمرَ بأمرِهِ، فقَالَ لَهُ الملَكُ: لوَ أمرْتَنى لأطبَقْتُ عَليهِمُ الأَخشبَيْنِ - جَبلاَنِ فِى مكةَ يُحيطَانِ بهَا- تنفيذًا لأَمرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

ولكنَّ الرَّسولَ ﷺ الذى بَعـثَهُ اللهُ رحمَةً للعَالمِـينَ رفضَ ذَلكَ وقَالَ: إِنِّى لأدْعُو ربِّى أنْ يخرجَ مِنْ بينِ أَصْلابِهِمْ مَنْ يخَـافُ اللهَ ويخْشَاهُ، ويعْبدُهُ حَقَّ عبَادتهِ.

وعَادَ الرسُولُ ﷺ ليَتابعَ دعوَتَهُ.

الهجرة إلى المدينة
وتأسيس الدعوة الإسلامية

فَتحَ اللهُ أبوابَ الخيرِ لنبيِّهِ عَليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فكَانَ لاَ يَرى رُؤيَا فِى المنَامِ إلاَّ كَانتْ حَقيقةً كَوضحِ الصُّبحِ، ولقَدْ رأَى أنهُ أُمرَ بالهِجرَةِ منْ مكَّةَ إلَى بلَدٍ ذَاتِ نَخيلٍ، وكَانَ النَّبىُّ ﷺ يُقابلُ النَّاسَ فِى الطُّرقِ والأَسْواقِ والموَاسمِ يَعرضُ علَيهِمْ دَعوتَهُ، ويَتلُو عَليهمُ القُرآنَ، وَقد الْتقَى النَّبىُّ ﷺ بوفْدٍ منْ «يَثربَ» فَاعترَضَهُمْ، وتَلاَ عَليهِمُ القُرآنَ، وأخبَرَهُمْ بِنبوَّتهِ، ويثرِبُ كَانَ يسْكُنهَا مَعَ العَربِ اليَهودُ، وكَانُوا يعرفُونَ أَنَّ نبياًّ جَاءَ أوانُ بَعثَتهِ، وأَنَّ مبْعَثَهُ سيكونُ منْ مكَّةَ المكرَّمةِ، وأَنهُمْ سَوْفَ يتبَعونَهُ لِيقضِىَ مَعهمْ عَلَى العَربِ الذينَ يُحاربُونَهُمْ.

ولَما سَمعَ العَربُ بأمْرِ النَّبىِّ ﷺ، وعرَفُوا أَنَّهُ النَّبىُّ الَّذى يتَحدَّثُ عَنهُ اليَهُودُ، آمنَ أهْلُ المدينَةِ منَ العرَبِ، وَطلَبُوا منَ النَّبىِّ عَليْهِ الصَّلاَةُ السَّلامُ أَنْ يبْعَثَ مَعَهُمْ مَنْ يُحَفِّظُهُمُ القُرْآنَ، ويَنشُرُ تَعاليمَ الإِسْلاَمِ فِى يَثربَ، وبَايَعوا الرَّسولَ عَلَى السَّمعِ والطَّاعَةِ، وتُسَمَّى هذِهِ البيعَةُ بِبَيْعةِ العقَبَةِ الصُّغْرَى.

وأَرسَلَ النَّبىُّ مَعهُمُ الصَّحابِىَّ الجليلَ مُصعَبَ بنَ عُميرٍ الَّذى يُقَالُ عَنهُ أنهُ السَّفيرُ الأَولُ للإِسلاَمِ، وكَانَ يتمتَّعُ بالذَّكَاءِ وحُسنِ التَّصَرُّفِ واللَّباقَةِ وَالفطْنةِ، فدعَا النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وتَلاَ عَليهِمُ القرآنَ الكريمَ، واتَخذَ مِنْ حكمَتهِ ولبَاقَتهِ فِى حُسنِ العَلاَقَةِ بالجمْهورِ طرِيقًا لَهُ وسَبيلاً لمَا يَدْعُو إليهِ، فتأَثَّرَ النَّاسُ هُنَاكَ بِهِ، وأَسْلمَ عَددٌ كبيرٌ منْهُمْ.





وفى موسم الحجِّ التَّالى ذهبَ وفدٌ آخرُ من أهل يثربَ إلَى مكَّةَ، وكانُوا سبعينَ رجُلاً وامرأتان، والتقوْا بالنَّبىِّ ﷺ، وبايعُوهُ علَى أنْ ينصرُوهُ ويحمُوهُ عندمَا يُهاجرُ إليهمْ إلَى يثربَ ويعيشُ معهُمْ هنُاكَ، وطلَبوا منهُ الإسْراعَ فى الهجْرة، وكانت تلكَ البيعةُ هى بيعةُ العقبةِ الكُبْرَى.

وبَدأ الرَّسُولُ ﷺ يُخطِّطُ بدقَّة ومهارة وحُسْن تَصريف لأمْر الهِجْرَة، فدعَا النَّاسَ إلَى الهجرةِ منْ مكَّةَ إلَى المدينةِ المنوَّرة الَّتى كَانَتْ تسمَّى حينذَاكَ «يثربَ».

وهَاجرَ المسْلمُونَ إلَى يثربَ فَردًا فـردًا، فرارًا بدينهمْ منْ تَعذيب قُريشٍ لَهمْ، ونَجح تَخطيطُ النَّبىِّ عليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وهَاجرَ كَثيرٌ منَ المسْلمينَ، ثُمَّ هاجرَ النَّبىُّ ﷺ وبصُحبته أبو بكرٍ الصِّدِّيق رَضىَ اللهُ عنْهُ.

كَانَ المشركُونَ قَدْ تآمرُوا علَى قتْله، ووقفَ شبَابُهمْ أمامَ بيته ليضربوهْ ضَربةَ رَجُلٍ واحد كَمَا اتَّفقُوا، ولَكنَّ اللهَ أعْمَى أبصَارَهُمْ فخرجَ صَلَّى اللهُ عَليه وسَلَّمَ، يَضعُ الترابَ علَى رءوسهمْ، ويَتْلُو قولَ الله تَعالَى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** ﴿٩﴾ ﴾ [يس]

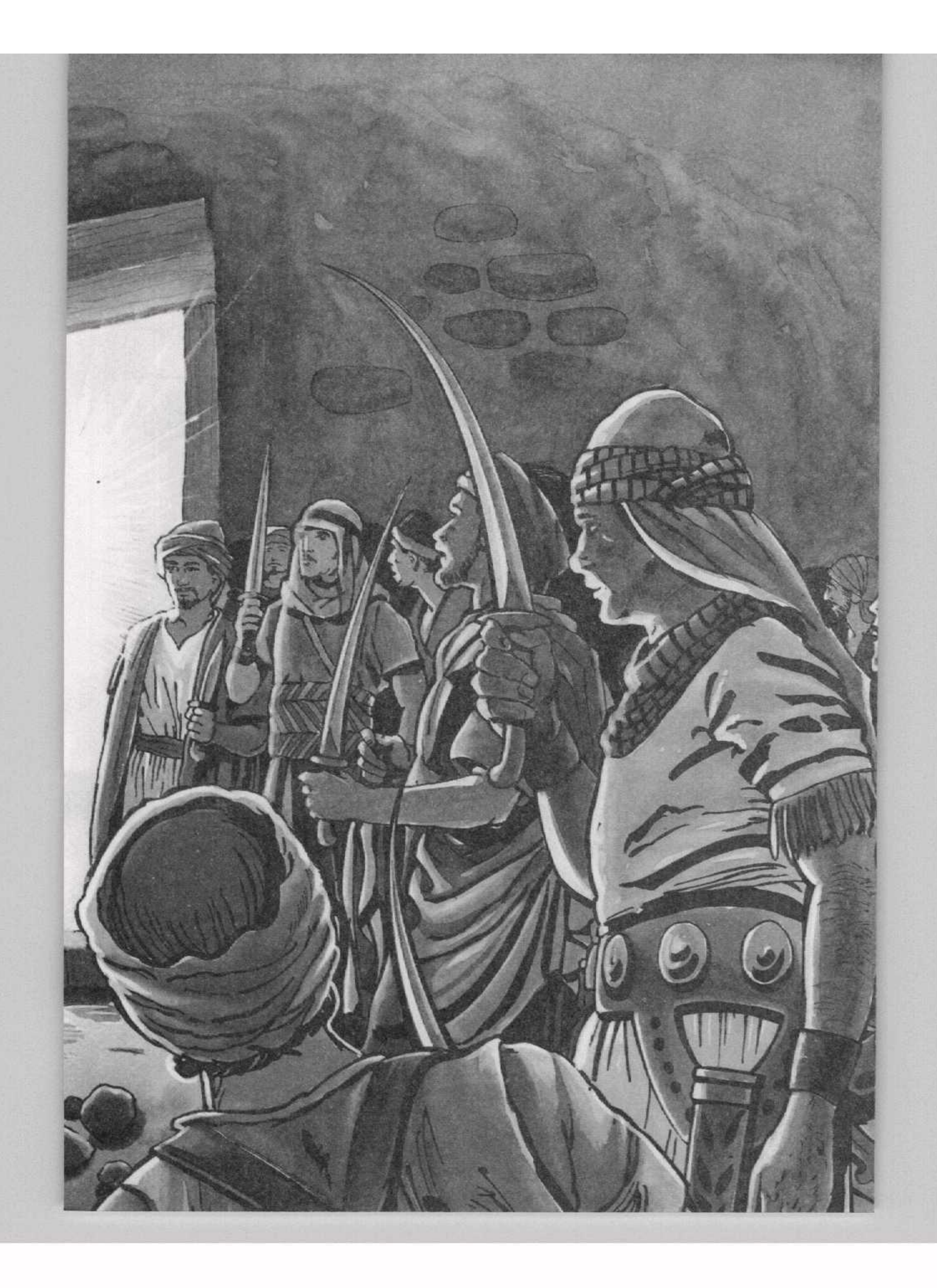
ولَمْ يَقرّ لقُريشٍ قَرارٌ، فتعَقَّبُوا النبىَّ ﷺ آملينَ أنْ يلْحقُوا به فى الطَّريقِ فَيردُّوهُ إلَى مكَّةَ، ولكنَّ اللهَ أيدَ نبيَّهُ بالمعجزَات، ونَصرهُ نصرًا مؤزرًا عَزيزًا، واختارَ النَّبىُّ طَريقًا غيرَ الطَّريقِ المعْروفَةِ بَينَ مكَّةَ والمدينَة، وكَانَ دَليلَ النَّبىِّ فى رحلَة الهجرةِ عَبدُ الله بنُ أُريقط، وهُو رجُلٌ مُشركٌ، استعملَهُ النَّبىُّ ﷺ، وائتمنَهُ علَى أسْرارِهِ، فكَانَ نعمَ الدليلُ الأمينُ رَغْمَ أنهُ لمْ يكنْ منَ المسْلمينَ.

ولَقدْ حَدثتْ فى الهجْرة مُعجزَاتٌ منْ تلكَ الأُمورِ الخَارقَة للعَادة التى لاَ يَستطيعُ أنْ يأتىَ بهَا بَشرٌ، فعندمَا اختَبأ النَّبىُّ ﷺ فى غَارِ ثَورٍ، ومَعَهُ

أبو بكرِ الصِّـديقُ رضيَ اللهُ عَنْهُ، خَيَّمَ الـعَنكبُوتُ عَلَى بَابِ الغَـارِ، ونسَجَ خيُـوطًا تبدُو قَـديمَةً، وكَـأنْ لمْ يدْخلِ الغَارَ إنسَـانٌ منذُ عشَرات السِنينَ، وجَاءتْ حَمَـامَةٌ فصنَعتْ لنفسهَـا عُشًا وبَاضَتْ فيه، لـيظنَّ المشركُونَ أنهُ لَوْ كَانَ أحَـدٌ فِى الغَارِ لأهَـاجَ الحمَامَـةَ وطارَتْ أوْ لانكسَرَ بـيْضُهَـا. كُلُّ ذَلكَ ليختَـبئَ النبىُّ وصَاحِبُهُ عَن أعْينِ المشْـرِكينَ، الذينَ كَانُوا يَبحثُـونَ عَنهُمَا فِى كُلِّ مكَانٍ.

وفِى الطَّريقِ مَرَّ النَّبىُّ ﷺ علَى امرَأة تُسمَّى «أُمَّ مَعبدٍ» تَعيشُ فِى خَيمة لهَا فِى الصَّحَـراءِ، وطَلَبَ منْهَا طعَامًا، فـقَالتْ: لَيسَ عندى إلاَّ عَنزةٌ هَزيلةٌ ضَعيـفَةٌ مَرِيضَـةٌ، فمسَحَ النَّبىُّ ﷺ علَى ضَرْعِـهَا، فدَّرت اللَّبنَ، فحَلَـبَهَا، وشَرِبَ هُوَ وأبُو بكرٍ، وترَكَ لأمِّ مَعبدٍ نَصيبَهَا مِنْ لبنِ عَنزتهَا الهَزيلَةِ.

وسَارَ النَّبىُّ ﷺ خَلْفَ الدَّلِيلِ فِى الصَّحْراءِ، فلمحَهُ رجلٌ يسَمَّى سُراقَةَ ابنَ مَالك، وكَانتْ قُريشٌ قَدْ أعلنَتْ عَن جَائزةٍ ضَـخمة لمَنْ يَأتِى بمحمَّدٍ حيًا أو مَيتًا، وأرَادَ سُراقَةُ أنْ يُمسكَ بالنبىِّ عـليهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ طَمعًا فِى جَائزةِ قُريشٍ، ولكنَّ فـرسَهُ لمْ تُطاوعْهُ عَلَى اللَّحـاقِ بالنَّبىِّ وسَاخَتْ أقدَامُـهَا فِى





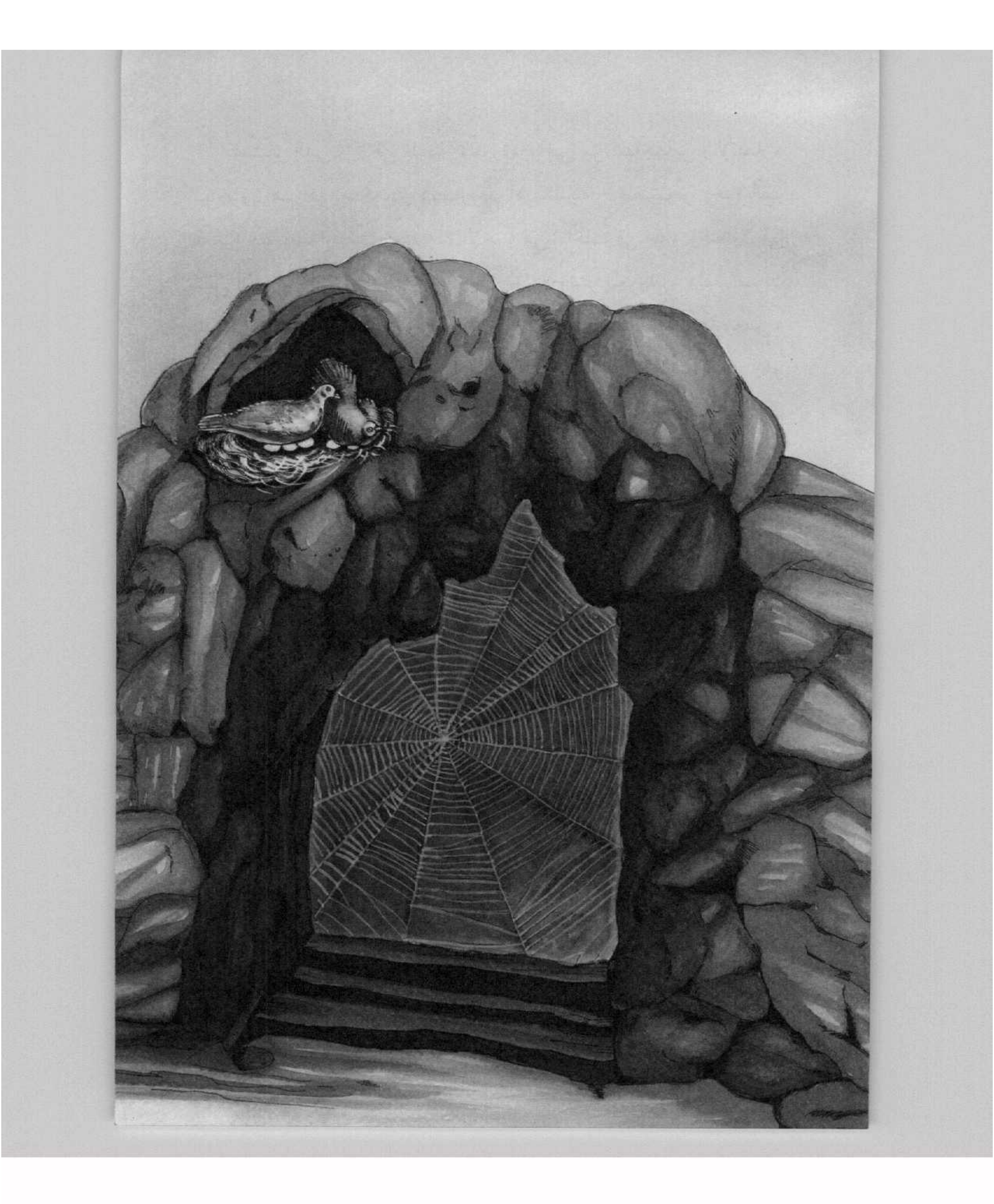
الرِّمال، وتعـثَّرتْ، وتكرَّرَ ذَلكَ أكثَـرَ مِنْ مرةّ، فطَلَبَ سُراقَـةُ الأمَانَ مِنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، عَلَى ألاَّ يَدُلَّ عليـه أحَـدًا، فَأعْطَاهُ الـرَّسُولُ الأمَـانَ، فقَـامتِ الفَرسُ مِنْ عثرتِهَـا، وَعادَتْ مُسـرعَةً وعلَى ظهرِهَا سُراقَـةُ نحْوَ مكَّةَ.

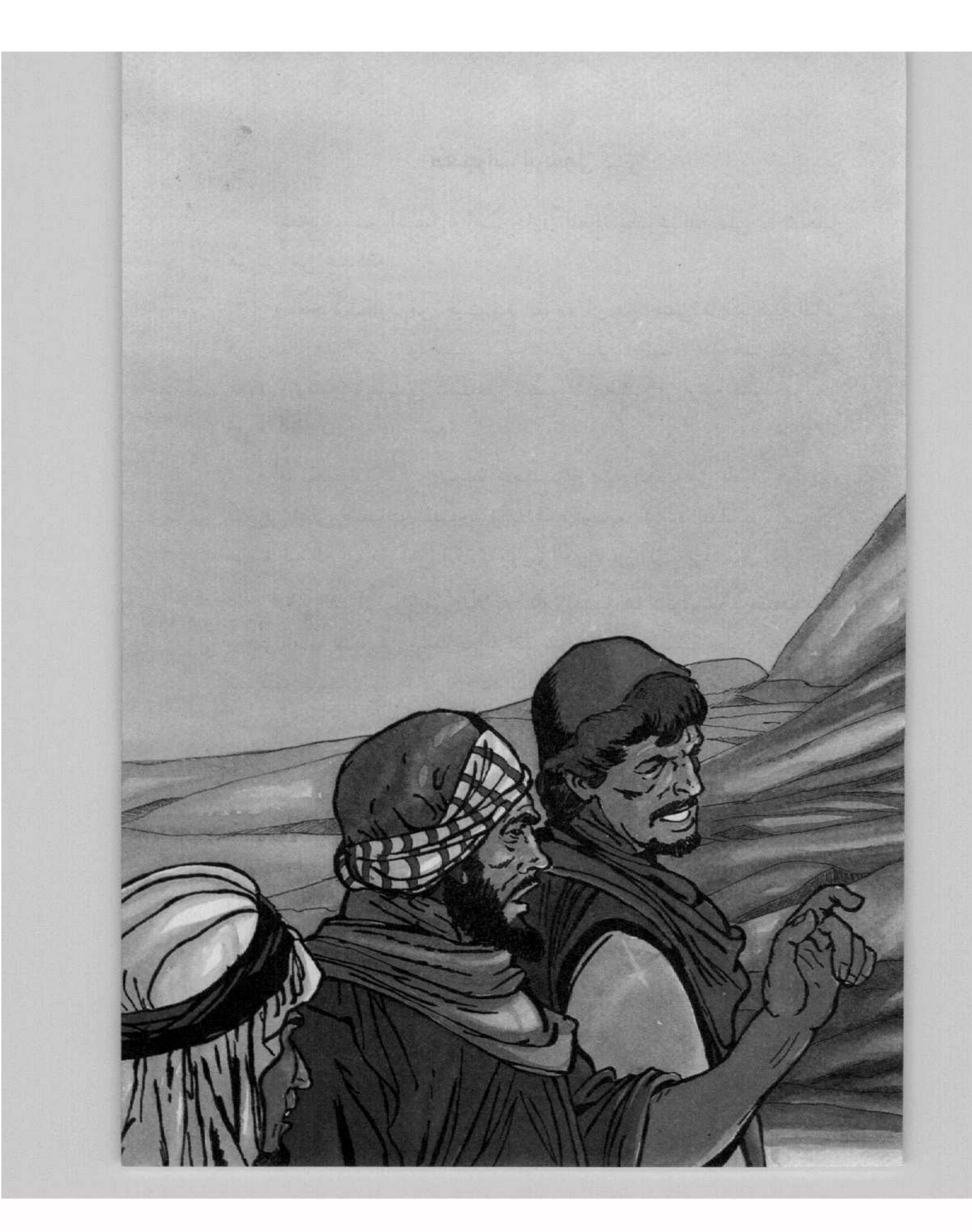
تلكَ بعْضُ المعجزَات والكرَامَاتِ والآياتِ الَّتى أيدَ اللهُ بهَا نَبيَّهُ ﷺ، فِى رحْلَة هجَـرته مِنْ مكَّةَ إلَى المدينَة المنورَة، إلَى أنْ وصَلَ إلَى المدينَة، فاستقبلهُ أهلُهَا بالبشْرِ والتَّرحَاب، وهُمْ فَرحُونَ كأنْ لمْ يفرَحُوا فِى حيَاتِهِمْ مثلَ هَذَا الفَرَحِ، واستقبلتْهُ بناتُ وأبناءُ بَنى النَّجار، وأبناءُ وبناتُ العائلات الكُبْرَى فِى يثربَ استـقْبالاً حَافِلاً، وأنشَدُوا فِى بُشْرَى قُـدومِهِ إليهِمْ عَليه الصَّلاةُ والسَّلاَمُ:

طَلَـعَ البَـــدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّـــاتِ الوَدَاعِ
وَجَـبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَـــا دَعَـــا للهِ دَاعِ
أيهَـا المبْعُـوثُ فِينَا ... جِـئْتَ بالأمْـرِ المطَاعِ
جِـئْتَ شَـرَّفْتَ المدينَة ... مَـرْحَبًـا يَا خَيْـرَ دَاعِ

وكَانَ هَذَا النَّشيدُ مُقدِّمةً للاستقبَالِ الحَارِّ الَّذى استقبَلَ بِهِ أهْلُ المدينة النبيَّ الكريمَ فِى مَوطنِه بَينَهُمْ فِى يَثربَ، وكَانَ أيضًـا مُقدِّمَةً لإعْلانِ أهْلِ يَثربَ تأييدَهُمْ الكَامِلَ لدَعوةِ الإسْلاَمِ.

اسْتقرَّ النبيُّ ﷺ فِى المدِينَة المـنوَّرة، وآخَى بينَ المهَاجـرِينَ والأنصَار، المهَاجِرونَ هُمْ أَهلُ مـكّةَ، والأنصَارُ هُمْ أهْلُ المدينَة - فأصبَـحُوا إخوةً أَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلوبِهِمْ، وكَانتْ ثَمرةُ هَذه الأُخوَّة هِيَ: الحبُّ فِى الله، والتَّعاوُنُ فِى سَبيلِ الله، والأُلْفَةُ مِنْ أجْلِ الله، وبَذلُ الخيـرِ ونَشرُ المعْرُوف، ولقدْ أثمرت هذه الأُخـوَّةُ نَموذجَ المجْـتمعِ المتكَاملِ القَـوىِّ المتعَـاطِف بَعضُـهُ معَ بَعْضٍ، وَسُمِّيتْ «يَـثرِبُ» بـ «المدِينَة المنورَّة»؛ لأَنَّ النَّبىَّ ﷺ بنَىَ بهَا مَـسجدًا، وَهوَ أوَّلُ مسجد كَبير يُبنَى فِى المدِينَة، ومنْ قَـبله بُنِىَ مَسجدُ «قُباء» عَلَى مَشارِف المدِينَة، بناهُ الرَّسُولُ ﷺ قَبلَ أَنْ يدْخُلَ يثرِبَ. وأصَـبحَ مَسجدُ النَّبىِّ بالمدِينَة منارَةَ علمٍ وإشعَاعَ نُورٍ للعَالمِ كُلِّه، ومدْرسَةً تَربويَّةً، جَامعَةً تُؤصِّلُ المفَاهِيمَ، وتعمِّقُ القِيَمَ فِى نُفـوسِ الصَّحَابَةِ والتَّابعينَ الَّذينَ أضَاءُوا جَـوانبَ الدُّنيَا بَعدَ ذَلكَ بِنُورِ العِلْمِ والمعْـرفَة، ونَشرُوا الحـريَةَ وأمَّنُوا الخائفَ، وأصَّلُوا المـفَاهيمَ والقِيمَ النَّبيلةَ العَظِيمَةَ فِى نفُـوسِ الناس، ونَشرُوا الحضَارةَ التى انْتفَعَ بهَا كُلُّ البشَرِ، وانتَفعتْ بِهَا الإنسَانيةُ كُلُّهَا فِى كُلِّ مَراحِلِ حَياتِهَا. لقدْ كَانتْ الهِجرَةُ خيرًا وبَركَـةً عَلَى المجتمعِ الإنْسَانىِّ، وأصْبحَـتْ يثربُ مَدينَةَ النورِ. المدينَةَ المنورَةَ. وقَالَ اللهُ عَـزَّ وجَلَّ فِى أمْرِ الهِـجرَة: ﴿**إلاَّ تنصُرُوهُ فَقَدْ نصرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذينَ كفَرُوا ثانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِه لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٤٠].





مُعجزات الرسول ﷺ

المعجزةُ، كَمَا أسلفْنَا - أمْرٌ خارقٌ للعادةِ يُظهرُهَا اللهُ علَى يَدِ شَخْصٍ هُوَ نَبىٌّ مِنْ عِندِ الله.

والمعْجزَةُ تَكُونُ مِنْ حَيثُ نَبغَ القَوْمُ، أىْ مِنْ جنسِ مَا نبغَ فيه النَّاسُ فِى زَمانِ هَذا النَّبىِّ، ولكنَّهُمْ لا يَقْدرُونَ عَلَى الإتْيانِ بمثْلِ هَذا اللَّون مِنَ العملِ. ومُعجزةُ عِيسَى كانتْ فِى الطِّبِّ لأنَّ الناسَ فِى زَمنه كَانُوا قَدْ نَبغُوا فِى هَذَا اللَّونِ.

أمَّا المعْجزةُ الكُبرى لسيدنَا مُحمَّد ﷺ فَقدْ كَانتْ هِىَ القُرآنُ الكَرِيمُ، فَهوَ فِى أعْلَى طَبقَاتِ الفَصاحَة والبَلاغَةِ والبَيانِ، وهَذه الصِّفَاتُ كَانتْ هِىَ مَا نبغَ فِيهِ العَرَبُ مِنْ أَهلِ مكَّةَ والجزيرَةِ العَربية فِى ذَلكَ الزَّمَانِ.

فَجاءَ القُرآنُ بنوعٍ مِنَ البَلاغَةِ أعْلَى بكَثيرٍ ممَّا كَانُوا عليه، فَتحدَّاهُمْ، ووَقفُوا أمَامَهُ مبهُورينَ مشْدوهينَ، لَقدْ سَحرَ القُرآنُ العَربَ بحُسْنِ مَا فيه مِنْ كلمَات، كُلُّهَا دَلائلُ إعْجازٍ، وَلَمْ يستَطعْ أحدٌ منهُمْ، وَلَنْ يَستطيعَ أَحدٌ إِلَى آخِرِ الزَّمانِ أنْ يأتِىَ بقرْآنٍ مثله.

وهُناكَ مُعجزَاتٌ أخْرَى لرَسولِ اللهِ ﷺ منْهَا:

سُجودُ الشَّجرِ لَهُ، وشَهادَةَ الضَّبِّ بأنه رَسُولُ الله.

خُروجُ الماءِ منْ بينِ أصَابعه عَليه الصَّلاةُ والسَّلاَمُ، حَتَّى شَرِبَ القَومُ، وكَانَ العَطشُ قَدِ اشتَدَّ به وبِهِمْ.

انْشقَاقُ القمرِ فَلْقتينْ.

حَديثُ لحمِ العَنزة المشْوىِّ إلَى رَسولِ اللهِ ﷺ، عندَمَا قَالَ لَهُ: لاَ تَأكلْ منِّى يَا رَسُولَ اللهِ لأنَّ بِى سُمًّا.

وهُناكَ مئاتٌ منَ المعْجزَاتُ لسيدنَا مُحمَّد ﷺ، أيدَهُ اللهُ بهَا؛ لأنَّ الناسَ كَانُوا يطلُبُونَ البرَاهينَ الدَّالَة عَلَى نُبُوة النَّبىِّ العَظيم، فكانَ اللهُ يُؤيدُهُ بالمعْجزَات لتكُونَ دَليلاً بينَ يديْه عَلَى أنهُ النَّبىُّ الخاتَمُ، المحْفُوفُ برعَاية ربِّه، والمؤيَّدُ بجنْد الله، والذى دعَا إلَى مَا دعَا إليْه الأَنبيَاءُ السَّابقُونَ منْ أنَّ الدينَ عندَ الله هُوَ الإسْلاَمُ؛ لأنهُمْ جَميعًا كَانُوا يقُولُونَ لأَقوامهم: اعْبدُوا اللهَ مَالكُمْ منْ إله غيْرُهُ.

غزوات النبى ﷺ وسراياه

السَّرِيَّةُ: هِىَ مَجمُوعَةٌ منَ الجند يبعَثُهُمُ القَائدُ فى مُهمَّة استطلاعيَّة أوْ حَربيَّة صَغيرَة، وكَانَ النَّبىُّ ﷺ يَبْعَثُ بسَرَايَاهُ، ويجعَلُ أميرَهُمْ أحفظَهم للقرْآن، وتنْطلقُ هَذه السَّريَّةُ إلَى المهمَّة المكلَّفة بهَا. أمَّا الغزْوة فهىَ مَجمُوعَةٌ منَ الجنْد يقُودُهُمُ النَّبىُّ ﷺ، فى عَمَلٍ بُطولىٍّ لتَأْمين الحدُود، أو لصَدِّ عُدوان هُجومىٍّ منَ الأَعدَاء عَلَى الدَّولَة الإسْلاميَّة.

وكَانَ النَّبىُّ ﷺ يُحاولُ بكُلِّ مَا أُوتىَ منْ قُوة ألاَّ يرفَعَ سيفًا، وكَانَ يَتجنَّبُ إراقَةَ الدِّماء. وإنْ فُرضَ عَليه الجهَادُ كَانَ يُقاتلُ الجنْدَ فقَطْ فى ميدان المعرَكة، ولا يُزعجُ النسَاءَ ولاَ يقتلُ الأَطْفَالَ ولاَ الشُّيوخَ، وفى الوَقْت نَفْسه كَانَ يؤمِّنُ الأسيرَ ويَحميه، ويقدِّمُ لَهُ الطَّعَامَ والشَّرابَ، لأنَّ الجهَادَ فى الإسْلامِ شُرعَ لردِّ العُدوان وحماية الأَعراض، وقَدْ تعلَّمْنَا منْ رَسول الله ﷺ أنهُ كَانَ لاَ يعْتدى عَلَى أحَد، وإنمَا كَانَ يَصُدُّ العُدوانَ فقَطْ. وقَدْ قَالَ لَهُ ربهُ جَلَّ شأنُهُ: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١] وبذَلكَ كَانَ جِهَادُ المسْلمينَ جهَادًا دفَاعيًّا وليسَ هُجُوميًّا.

وكانت السَّرِيَّةُ الَّتى يَبعثُهَا النَّبىُّ ﷺ يُوجِّهُ إليْـهَا أوامرَ تنَظيميَّةً، فيقُولُ لهُمْ ﷺ: «**لاَ تقْطعُوا شجَرةً ولا تَردمُوا بئراً، ولاَ تهدمُوا صَومَعةً لعابد، ولاَ تقْتلُوا، ولا تُروِّعُوا طفْلاً، وَلا تأسرُوا امرَأةً**». وهَذه هِىَ حُقُوقُ الإِنسَانِ فِى أَعْلَى مَراتبِهَا وقمتهَا، فنحْنُ لوَ قرأْنَا وتدَبَّرنَا دسْتُورَ الحْرب فى الإسْلاَمِ، ورأَينا مَا يَجرِى علَى السَّاحةِ الإنَسانية اليومَ، لحكمْنَا بأنَّ الإسْلاَمَ هُوَ دينُ الحقِّ والعَدْلِ وعزة الإنسَانِ وكرامَته، كَمَا أنَّهُ دينُ المروءَة والنجْدة والإحسَانِ.

لَقد ادَّعَى أعْدَاءُ الإِسْلاَمِ أنهُ انْتشَرَ بالسَّيف، وهَذَا كذبٌ عَلَى الإسلامِ وَافتـرَاءٌ عَلَى نَبىِّ الإِسْلاَمِ. لأنَّ الإِنسَـانيَّةَ وجَـدَتِ الأَمْنَ والطُّمأنينَةَ، كَـمَا وجَدت الحرِّيَةَ والعَـدالةَ فى زَمنِ تَطبيقِ قَواعدِ الإِسْلاَمِ، وعندَمَا كَانَ النَّاسُ يَحتكمُونَ إِلَى كِتابِ الله الَّذِى نَزلَ عَلَى قَلْبِ سيِدنَا مُحمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ القُرآنُ الكرِيمُ.

وغَزَواتُ النَّبىِّ وسَرَايَاهُ كُلُّها بُطولاَتٌ وتضْحيَاتٌ وفدَاءٌ.. وكَانتْ كُلُّهَا مِنْ أَجْلِ أهدَافِ إنسَانيَّة سَامية رفيعَة، فمنْ سَرايَا النَّبىِّ ﷺ وغزواته:

غَزوةُ الأَبواء، فِى السَّنَة الثَّانيَة منَ الهجْرة، ويقَالُ أَنَّهَا غَزوةُ ودَّانَ.

غَزوةُ بَواط، فِى السَّنةِ الثَّانيةِ منَ الهجْرةِ أيْضًا.

غَزوةُ ذَاتِ العـشيرَة، فِى السَّنَةِ الثَّانيةِ مِنَ الهِجْـرةِ، وهِىَ بِالقُربِ مِنْ يَنْبعَ.

غَزوةُ بدْرِ الأُولَى.

سَريَّةُ عَبدِ الله بْنِ جَحْشٍ.

غَزوَةُ بدْرِ الكُبرَى، فِى ١٧ منْ رمَضَانَ، فـى العَامِ الثَّانى منَ الهجَرة، وفيهَا يقُـولُ الحقُّ تبَارَكَ وتعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران].

غَزوَةُ بَنِى قَينُقَاعٍ، وكَانَ سَبَبُهَا نقضُ يَهودِ بَنِى قَينقَاعٍ عَهدَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

غَزوَةُ السَّويقِ، فِى نِهَايَةِ السَّنَةِ الثَّانيةِ منَ الهِجْرَةِ.

غَزوَةُ ذَاتِ أمرٍ، فِى العَامِ الثَّالثِ منَ الهِجْرَةِ، وكَانَ يُريدُ نَجداً.

غَزوَةُ ذى القَرَدَةِ، وكَانَ أميرهُمْ زَيدُ بْنُ حَارِثَةَ.

غَزوَةُ أُحُدٍ، وفيهَا انتصَـرَ المسْلمُونَ، ثُمَّ انْشغَلُوا بجَمْعِ الغَنَائِمِ، ونَسُوا تَعليمَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فهزَمَهُمُ المشرِكُونَ.

غَزوَةُ حَمرَاءِ الأَسَدِ، فِى السَّنَةِ الثَّالثَةِ للهِجْرَةِ، وكَانَتْ عَلَى بُعْدِ ثَمانيةِ أمْيالٍ منَ المدِينَةِ.

غَزوَةُ الرَّجِيعِ، فِى السَّنَةِ الرَّابعَةِ منَ الهِجْرَةِ.

سَرِيَّةُ أَبِى سَلَمَةَ، فِى السَّنَةِ الرَّابَعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ، ضِدَّ قَبيلَةِ بَنِى أَسدٍ.

سَرِيَّةُ بِئرِ مَعُونَةَ، فِى السَّنَةِ الرَّابِعَةِ منَ الهِجْرَةِ.

غَزوَةُ بَنِى النَّضِيـرِ، اليَهودِ بَعدَ أنْ حَاولُوا اغْتِـيالَ النَّبِىِّ ﷺ، وتآمرِهِمْ بإلقَـاءِ صَـخْرةٍ عَلَيْـهِ مِنْ مكانٍ عَـالٍ، وأَجْـلاَهُمُ الرَّسُـولُ عَنِ المدِينَةِ بدُونِ أسلِحَتِهِمْ.

غَزوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لمحَاربَةِ قَبِيلَتَيْنِ مِـنْ قَبَائِلِ نَجدٍ، هُمَا بَنُو مُحارِبٍ، وبَنُو ثَعلبَةَ، وفرَّ القَوْمُ أمَامَ جَيْشِ المسْلمينَ.

غَزوَةُ دومَةِ الجنْدلِ، فِى العَامِ الخَامِسِ للهِجرَةِ، وذلكَ لمحَارَبَةِ الأَعرابِ الَّذينَ يقطَعُونَ الطَّريقَ عَلَى مَنْ مَرَّ بِهِمْ، وهَربُوا مِنَ المواجَهَةِ.

غَزوَةُ بَنِى المصْطَلِقِ، وَهمْ بَطْـنٌ مِنْ خُزاعَةَ، وتسَمَّى غَـزوَةُ المرِيسيعَ، وهو مَكانٌ مَاءٍ لهذهِ القَبِيلَةِ، وانتهَتْ بهزِيمَةِ بَنِى المصْطَلِقِ، وإسْلامِهِمْ كُلِّهِمْ بعدَ ذَلكَ.

غَزوَةُ الأَحزَابِ، وفِيهَا أَقامَ المسْلمُونَ خندقًا حَولَ المدينَةِ، ولهَذَا سُميَتْ أيْضًا غَزوَةُ الخندَقِ، وفِـيهَا نصرَ اللهُ المُسلمينَ نصرًا عـزيزًا مؤزَّرًا، وقَالَ اللهُ تعَالَى عَنْ هَذه الغَزوة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ٩، ١٠].

غَزوَةُ بَنِى قُـريظَةَ، وهُمْ مِنَ اليَهودِ، وهِيَ آخِـرُ القَبَائِلِ اليَـهُودية الَّتِى بَقيتْ بالمدِينَة، والذينَ تحالفُوا مَعَ المشرِكينَ ضدَّ المسْلمينَ، وقَدْ قُتِلَ رِجالُهمْ، وسُبِـيتْ نساؤهُمْ، تَنفيذًا لحكْمِ ارتَـضَوْهُ لرَجُلٍ مِنَ الصَّحابَةِ، هُوَ سَـعدُ بن مُعاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

سَرِيَّةُ القَرْطَاء.

غَزوَةُ بَنِى لحيَانَ، وغَزوَةُ الغَابَة.

الحدَيبِيةُ، وصُلحُ الحدَيْبِية، فِى السَّنة السَّادسَةِ مِنَ الهِجْرة.

غَزوَةُ خَيبر، وبِهَا تَمَّ القَضاءُ عَلَى الْيهُود فِى الجزيرَةِ العربيَّةِ.

غَزوَةُ فَتحِ مكَّةَ، وفِيهَا تَمَّ فَتحُ مكَّةَ، وتطْهيرُ بيتِ اللهِ مِنَ الأَوثَانِ.

غَزوَةُ مُـؤتَةَ، وفِيهَـا تَمَّ تأديبُ ابْنِ عمُيـرٍ الأزدىِّ، ومُواجهَةِ جُـيوشِ الرُّومَانِ، والكَـرِّ مِنْ أَمامهِمْ؛ لأنَّ عـددَهُمْ كَانَ يزِيدُ عَلَى عَـشرةِ أضْـعَافِ المسْلمينَ.

غَزوَةُ حُنينٍ، بـعدَ فتْحِ مكَّةَ، وهِيَ منـطقَةٌ قَريبَـةٌ مِنَ الطَّائف، وفيـهَا انهزَمَ المشرِكُـونَ بعْدَ أَنْ كَانُوا مُتـقَدِّمينَ، وكَانتْ فِى السَّنةِ الثَّـامنَةِ للهِجرَة.

وعنها يقولُ اللهُ تعالَى: ﴿لقدْ نصركُمُ اللهُ فى مواطنَ كثيرةٍ ويوم حُنين إِذْ أعجبتكُمْ كثرتكُمْ فلمْ تُغنِ عنكمْ شيئًا وضاقتْ عليكُمُ الأرْضُ بما رحُبتْ ثُمَّ ولَّيتم مُّدبرين ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أنزلَ اللهُ سكينتَهُ على رسوله وعلى الْمُؤمنين وأنزلَ جنُودًا لَّمْ تروْها وعذَّبَ الَّذين كفرُوا وذلكَ جزاءُ الْكافرين﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

غزوةُ تبوك، كانتْ بمثابة تحدٍّ للرُّومان، فى قُوتهم وفى عُقْرِ دارِهم.

وغيرُ ذلكَ منَ الغزوات والسَّرايَا، ،كُلُّهَا منْ أجلِ هدف نبيلٍ، هُوَ صدُّ الأعداء، أو الدِّفَاعِ عَنْ حُدُود الدَّولَة الإسْلامية، قَالَ تعالَى: ﴿وإنَّكَ لعلىٰ خُلُقٍ عظيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]. وقالَ جلَّ شأنُهُ ﴿إنَّ الدِّين عند اللهِ الإسْلامُ وما اختلفَ الَّذين أُوتوا الْكتابَ إلاَّ من بعْد ما جاءهُمُ الْعلْمُ بغْيًا بيْنهُمْ ومن يكْفُرْ بآيات اللهِ فإنَّ اللهَ سريعُ الْحساب﴾ [آل عمران: ١٩]. وقَال تعالَى: ﴿فلذلكَ فادْعُ واسْتقمْ كمَا أُمرتَ ولا تتَّبعْ أهْواءهُمْ وقُلْ آمنتُ بما أنزلَ اللهُ من كتابٍ وأُمرتُ لأعْدلَ بيْنكُمُ اللهُ ربُّنا وربُّكُمْ لنا أعمالُنا ولكُمْ أعمالُكُم لا حُجَّةَ بيْننا وبيْنكُمُ اللهُ يجْمعُ بيْننا وإليْه الْمصيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

وقَالَ عزَّ وجلَّ: ﴿أشحَّةً عليْكُم فإذا جاءَ الْخوْفُ رأيْتهُمْ ينظُرون إليْكَ تدُورُ أعْيُنُهُمْ كالَّذى يُغْشىٰ عليْه من الْموْت فإذا ذهبَ الْخوْفُ سلقُوكُم بألْسنة حداد أشحَّةً على الْخيْرِ أُولئك لمْ يؤْمنوا فأحْبطَ اللهُ أعْمالهُمْ وكانَ ذلكَ على اللهِ يسيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩].

ويقول عزَّ منَ قَائل: ﴿لقدْ منَّ اللهُ على الْمُؤْمنين إذْ بعث فيهمْ رسُولاً مّنْ أنفُسهمْ يتْلو عليْهمْ آياته ويُزكِّيهمْ ويُعلِّمُهُمُ الْكتابَ والْحكْمةَ وإن كانُوا من قبْلُ لفي ضلالٍ مُّبين ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]. كمَا يقُولُ سبحانه: ﴿وإن يُريدُوا أن

يخدعوك فإنَّ حسبك اللّه هو الَّذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴿٦٢﴾ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن اللّه ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. ويقول تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته واللّه يعصمك من الناس إن اللّه لا يهدى القوم الكافرين﴾ [المائدة: ٦٧].

ويقول تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئا وسيجزى اللّه الشاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وكان عدد غزوات الرسول ﷺ سبعًا وعشرين غزوة، وكان عدد سراياه خمسًا وثلاثين سرية.

وانتقل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول فى السنة الحادية عشرة للهجرة، وكان عمره آنذاك ثلاثة وستين عامًا، عليه صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته، إلى يوم يبعثون، وجعلنا ممن يصحبونه فى جنات النعيم.

وختامًا.. أيها القارئ الكريم..

إن سيدنا محمدًا ﷺ، لا نستطيع أبدًا أن نحصى فضائله وشمائله، لأنه النبى الخاتم لجميع الأنبياء، فاجتمعت فيه الصفات العظيمة والأخلاق الكريمة، لذلك كانت رسالته جامعة لخصال الخير كلها. تجد الإنسانية فيها

الأَمن والسَّلامُ، والمحبَةَ والاستقرار، والأُلفَة والتَّعاوُنَ، لأنَّ دعَامات الرِّسالةِ الإسْلاميَّةِ تقُومُ علَى مبَدأين اثْنين:

الأولُ أَنْ تعْبـدَ اللهَ كَـأنكَ تَراهُ، فَإنْ لم تـكُنْ تَراهُ فَإنَّهُ يرَاكَ، وأَنْ تَستَشْعِرَ أنَّ اللهَ معَكَ أينَمَا كُنتَ، فهوَ يرَاكَ، ويعْلمُ مَا تفَعلُ، فَعليْكَ أَنْ تكُونَ يقظَ الضَّميرِ، مُرهَفَ الحسِّ.

الثَّاني: أَنْ تحبَّ للنَّاسِ مَا تحبُّ لنفسكَ، وأَنْ تحرِصَ علَى أَنْ تكُونَ نَافعًا فِي مَجتمعَكَ، إيجابياً فِي حَياتكَ، تُسْهِمُ فِي خِدمَةِ بلدكَ، وتحصِّلُ العلمَ، وتَبتكرُ، وتجوِّدُ الصَّنعةَ، وتتقنُ العمَلَ، وتعَاملُ النَّاسَ بالصِّدْقِ والأَمانةِ، وأَنْ تسْتَشْعرَ أَنَّ كُلَّ فرد في المجْتمَعِ إنَما هُوَ أخُوكَ، والجميعُ إخَوانُكَ، فَإنْ قدَّمتَ إليهمُ الخيْرَ عَادَ إليْكَ بأوْفَى منْهُ، وإنْ صَنعتَ الشرَّ ارتدَّ إليْكَ، وكَمَا تَدينُ تدَانُ.

قَالَ تعَالَى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (١١٠) ﴾ [البقرة]

بهَذه الأسُسِ بَنى النبَّيُّ ﷺ مُجتمَعَ الفَضيلَة والكَرامة والشَّهامَة والمروءة، والنجْدَة، وبيَّنَ لنَا أنَّ مَثلَ المؤمنينَ في تَوادِّهِمْ وتَراحُمِهِمْ وتَعاطُفِهِمْ كمَثلِ الجسَدِ الوَاحِد، إذَا اشْتكَى منهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سَائرُ الأَعضَاءِ بالسَّهرِ والحمَّى. وليسَ هُناكَ أَسعَدُ منْ مُجتمعٍ تكُونُ هذه صِفاتُهُ.

وأخِرُ دَعوَانَا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ، وصَلَّى اللهُ علَى سَيدِنَا مُحمَّدٍ وعلَى آلهِ وأصْحابه وسَلَّمَ.